

قراءة في تجربة الشاعر ناجي حراة .. سفر الذات من عتمة الستر إلى نور الصلاة

هل تُكتب القصائد لإيقاظ شيءٍ غافٍ في أعماق الذات ؟

هل اللغة سّلم خفي تهبط به الروح إلى أغوارها ثم تصعد به إلى المطلق ؟
في بيّات شفيف لجاسم الصحيح يسلط مصابحه الكاشفة على الحقيقة بلسان العارف قائلًا :
وعَلَمَني السقوْطُ ببئْرِ نفسي
بأنَّ الماءَ في الأعماقِ أحلى

للذات وهي تمتحن صدقها في العتمة ..

بهذه الإضاءة يُنير السقوط درَبَ الواصلين ، ويصبح الشعر همسًا
والشاعر - حين يبلغ مقامه - هو مثل السالك تمامًا ال يكتب ليقال له : أجدت ، وإنما ليهمس في سره :
وجدت ..

في هذا السياق نقارب شعر ناجي حراة كرحلة باطنية ، ونقرأ تشعباتها كما تقرأ المناجاة في السحر ،
ونتتبع خُطى القصيدة

تمامًا كالمريدين ، إذ لكل بيت مقام ولكل مقام منزلة يُرفع عنها الحجاب .
في هذه الرحلة سنبدأ من ستر التكوين ، وسنتقلب بين المرآة والغتسال والنصهار حتى نبلغ ذروة
الصالة حيث يغدو الحرف
سجدة والقصيدة قبسًا من نور ... وهناك ، على طور المجاز ، يوافينا ناجي وهو ينادي محبوبته الأزلية
:

بعد عينيك لهفتي بوصَلتني

باتجاهه الأعماق وسَطَ بحوري

هل أنتم على أهبة التجلّي ؟

إن الشاعر سيأخذنا في رحلة عرفانية المالمح .. عبر قصيدة

تطهّرت حتى شُفّت عن النور .

بوصلة القلب لهفته

والأعماق وجهته

والكلمة وسيلته ..

(الستر : منزلة مَن أَدَنَ له في المثل (

□

1/5

لليلة وحدها التي احتشدت بها كُسل العصور

الليل هنا منزلة للتهيو ، يتربى فيه السكون حتى يصبح إشراقاً ..

الليل هو زمن (الذات أمام عزلية مأهولة بالصمت والإصغاء ، ليس ثمة صوت غير تلك المناجاة

الصادقة :

إذاً

بيج

يا ليلى إنك ما تزال تُت

للعشاق والسراق ستترك

فالستر هو الرحم الرمزي الذي يبدأ فيه التخلق الداخلي ، والظالم ليس سوى سكينه تسبق النباح حيث

تنضج البصيرة في

مختبرها السري إلى أن يحين الوقت المناسب لتقول بهمس :

يا دجى، قل لنا

كيف نعرف أن السنا أشرفاً؟

بهذا السؤال الواعي نعرف أن الشاعر استعد للمنزلة الأعلى ، واقتربت لحظة الانفراج لفت أول

بوابات المعنى :

يا ليلى بيج

دَنَ لسرك بالعبور

وأ

إنه عبور إلى منزلة الانكشاف بعد أن تسلح الشاعر بالبصيرة ، فمن ال يذرف قلبه في العتمة ال يسمع

نداء القصيدة حين تهبط

من عليائها .

هنا تتكوّن القصيدة ال كفكرة، بل كهجرة

نحو الذات وهي تخلع أقنعتها واحدة تلو الأخرى .

(المرآة : منزلة من أُنزل له بالنزول)

الحنينُ رسولُ القِدَمِ

الحنينُ ابتكارُ المضارع يسعى لتعلو أعناقُ قُـمـه فوق سقـفِ القـدَمِ

عندما يخرج الشاعر من الستر ال يرى النور مباشرة بل يرى انعكاسه في مرآة ذاته ..

في هذه المرحلة تتحول المرآة من سطح عاكس إلى موضع كشف استعداداً

لـ (نزول) القصيدة عبر حنينٍ إلى قديم الذات حيث تتواجه مع ظلالها وصورتها وعمقها في آن .

يستدعي العهد الأول لمفاء القلب ، لذلك فإن الشاعر يخاطب

فالحنين ال يعود نوستالجيا سطحية بل يصبح سلوكاً وجودياً

هذا القلب بقوله :

أور يا قلب نارك من حطب الذكريات

ألن الذكريات وقود إشعال التبصر الروحي ، ولكي يتعاطى الشاعر معها البـد من قصيدة متوهجة

بالانتظار :

قصيدي

أنحلها الشوق وأدمى قلبها الانتظار

حيث أن الانتظار هنا يشبه (النزول) في مدارج النفس ، والمكوث فيها ضرب من التصفية الداخلية حتى

تتجلى القصيدة

كانعكاس لتذكر الوجه الفطري - ذلك الحضور النقي قبل أن تكدره التجارب ، وقبل أن يشتت الضجيج -

وهذا هو لب الدعاء الذي يقول

(بك عرفتك وأنت دللتني عليك)

فكما أن العارف ال يصل إلى معرفة الحق إل ال عبر إشراقه عليه (السفر من الحق إلى الحق) ، كذلك

الشاعر ال يبلغ صورة

لقي هي عليه قميص جوهرها الأول فيتذكر من خالها ذاته وربّه ومبدأه ..

القصيدة إل حين تُت

إن القصيدة نفسها تصبح مرآة ينظر بها الشاعر إلى وجهه الأول، فتتجلى متأرجحة بين (من كنت) و

(ما أرجو أن أكون)

أريد أن أكون

مرّ وّض الجمال

في شراسة القصيدة الحرون

القصيدة هنا مرآة متمردة، ال تستجيب إل لمن قـدّس التعب، ووقف على ناصية الحلم ابتغاء الوصول

(الاغتسال : منزلة من أذن له في الوصول)

فَهَا (كوثرُ) الشعرِ بِلِـلٍ شِفَاهَ القصيدِ بماءِ القنوتِ

ها هنا يبلغ الشاعر مقام التهيؤ للوصال.. مقام من تهيأ وتعباً واستعدّ فكل حرفٍ قبل هذا الاغتسال كان تمريناً على الطهر، وكل موسيقى كانت رشاً أولياً بالماء.

إن الماء هنا ليس فقط رمز الطهارة، بل هو أيضاً إشارة لشفافيةٍ تتجاوز الحرف نحو النور، تماماً كما أن النار ليست فقط ألماً، بل نضجاً:

أَبِي نَضَجَ الفَلَابُ

فَوْقَ عَرِيْشِ اللَّهَبِ

بهذا التشكل يتحوّل الشعر من زخرفٍ إلى ذكر، ومن تراكيبٍ إلى ماءٍ ونارٍ ومن بهيٍ إلى بهاء ..

القصيدة وضوء داخلي. لا تُكتب لتُلقى، بل لتُطهر من يكتُب، وتُهيئهُ للوصال :

أنا مذ صوتكِ النهاوندِ صلاي

فوق أذني غداة همسٍ طهور

خلتُ أن الغناء يهطلُ ضوءاً

فنوتٍ أضلعي اغتسلاً لا

بنور في هذه المنزلة الاغتسال بالنور عملية تهيؤ للقبول

(الانصهار : منزلة من أذن له في القبول)

أنا أم أنا قلاُت: بل أنتنا

في هذا المقام، تتالشى الثنائية: ال ذات تكتب، وال آخر يُكتب له، بل (هو) وحده الناطق
في الذوات جميعًا ... والمسافر في
الذوات جميعًا ..

إن النصار هنا وجودي .
وقلاُبك ثلُج، فأُنى لك آلن أن ت مَهَر الحرفا؟
ا بل اشتعاَل.

والمجاز لم يعد تزييُن
نشأ، بل تنبعث من الفناء :
والكلمات لم تُعد تُت
سأفنى

فكم ذا أزيُد احترافا
ونبعي نفاُد

في هذه المنزلة ، ال يسطر الشاعر، بل يشتعل.وتصبح أمنيته القصوى:
فمناي
أُن أهَب الحياة شميعة
لا تنطفئ°

إنه الذوبان الكامل و(القبول)بكل الوجود ... الذي يؤهله للدخول.

*) الصلاة : منزلة من أذن له في الدخول (

°لاكَ اله سُرسَكَالَمَجَّ سَنَأَب بُتْ سَمع

°ة سَرَم °وَوَل سَلَجَت °يَلها إ-

°الكَرَأ °نَأ °يَهتْأَش

الصلاة : الغاية نبلغ نحن ها

سندخل مع ناجي لإقامة الدائمة في الحضرة .

الصلاة هنا هي مقام الوصل، مقام من رأى فأنشده، ومن أنشد فسجد .

وحدي أمّلي للجمار

وكان لي التسبيح سامر

الشعر إذا تحوّل إلى تسبيح، والكلمة إلى بخور، والقصيدة إلى محراب .

لم تعد ألتوتار تغني، بل تذوب:

ال ينثني عن ذكرها قيثاري

حتى تذوب بلحنها أوتاري

فيعود لليل من جديد في دورة عرفانية متجددة - مثل دورة الماء في الطبيعة - ليقول له :

أطفئ وجودك وامنح ألفق السالم

* تجربة ناجي حراية: تجربة تحوّل.

من الطاهر إلى الجوهر،

من الستر إلى النور،

من الحرف إلى النبع،

من (أنا) إلى (هو)

ثم الدخول في الصلاة ...

فهو سالكٌ يطهر لغته قبل أن يُقدّمها قرباناً .

يكتب كما يُصلي، ويهمس كما يُذوّب، ويرتل كما يسكن ... فهو (الناجي) بالنجوى حتى غدا شاعراً

:

ولتسألوا عني ملاك

الشعر علام السرائر

فلقد خلقت على يديه

ومرتُ من نجواهُ شاعر

وبعد كل هذا ..

ما الذي تعلّمناه من هذه الرحلة مع الشاعر؟

وما الذي تركه لنا على سجادة التأمل؟